جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة علم المكتبات والتوثيق

المستوى: السنة الثانية ماستر

تخصص: إدارة المؤسسات الوثائقية والمكتبات

السداسي: الأول

مقياس: منهجية البحث العلمي

المحاضرة الثالثة: مناهج البحث العلمي **إعداد الأستاذة: جلاب فتيحة**

مناهج البحث العلمي: يمكن تحديد مناهج البحث العلمي فيما يلي:

1. المنهج الوثائقي أو التاريخي:

يتعامل المنهج التاريخي مع مغزى وأهمية المعلومات الكامنة في التاريخ، البعيد منه والقريب، وحيث أن التاريخ هو مجموعة من الظواهر والأنشطة البشرية والإنسانية، فإنه على الباحث أن يقوم بدراستها وفحصها. والأنشطة والظواهر التاريخية لا تقتصر على موضوع واحد أو مجال واحد ولكنها تشمل كافة المواضيع والمجالات، وبعبارة أوضح فإن المنهج التاريخي أو الوثائقي لا يقتصر على موضوع واحد ولكنه قد يستخدم مع كافة المواضيع والمعارف البشرية، حيث أن لكل موضوع ومجال في العلوم البشرية خلفياته وأصوله ومسبباته، أي تطوراته التاريخية المهمة في البحث العلمي، لأنها تفسر لنا أصول الحالة الراهنة للأنشطة والأحداث التي ندرسها. والتاريخ عنصر لا غنى عنه في انجاز الدراسات في العلوم الإنسانية وغير الإنسانية الأخرى، وإن الملاحظة والدراسة الميدانية المباشرة للظواهر الاجتماعية لا تكفي لوحدها في تثبيت وتكوين تلك العلوم، وإنما

لابد من إضافة دراسة تطور تلك الظواهر الاجتماعية والسياسية والعلمية والثقافية، في زمن حدوثها أي في تاريخها، ولهذا السبب فإن مختلف العلوم الإنسانية تحتاج إلى الدراسات التاريخية.

والطريقة التاريخية في البحث تهدف إلى تحديد أهمية المعاني والمعلومات المسجلة، التي توضح نشاطات الإنسان والحوادث، وربطها ببعضها ثم إيجاد واستخلاص التفسيرات المناسبة المنطقية للحوادث والأرقام. وعلى هذا الأساس فإن المطلوب من الباحث هنا هو أن يدرس الوثائق والمصادر التي هي أقرب ما تكون إلى الأحداث والأنشطة، وبعبارة أوضح فإنه على الرغم من أن المنهج التاريخي يعتمد على وصف وتسجيل للوقائع والأنشطة الماضية، ولكنه لا يقف عند حد الوصف والتسجيل، بل يتعداه إلى الدراسة والتحليل لتلك الوثائق والأنشطة، وإيجاد التفسيرات المنطقية المسندة لها على أسس منهجية علمية دقيقة، وذلك بغرض الوصول إلى نتائج، تمثل حقائق منطقية وتعميمات، تساعد في فهم ذلك الماضي، والاستناد على ذلك الفهم في بناء حقائق للحاضر، وكذلك الوصول إلى قواعد للتنبؤ بالمستقبل. فالمنهج التاريخي هنا إذن له وظائف رئيسية تتمثل بالتفسير والتنبؤ، وهو أمر مهم للمنهج العلمي في البحث يختص بها المنهج التاريخي.

إن المعلومات والبيانات المنشورة والمكتوبة في المصادر التي يحتاجها الباحث تكون عادة من نوعين أساسيين، أولية وثانوية. والمصادر الأولية هي التي تحتوي على معلومات وبيانات أصيلة وأقرب ما تكون إلى الواقع، وعليه فهي تعكس الحقيقة التي من النادر أن يشوبها التحريف. فالشخص الذي يكتب كشاهد عيان لحادثة أو واقعة معينة غالبا ما يكون مصيبا وأقرب للحقيقة، من الشخص الذي يرويها عنه أو الذي يقرئها منقولة عن شخص أو أشخاص آخرين، ويمكن القول عن المصادر الأولية أيضا بأنها المعلومات والبيانات التي تأتي إلينا دون مرورها بمراحل التفسير والتغيير، والحذف والإضافة، وما شابه ذلك من الأمور المهمة في البحث والاستقصاء.

ومن أمثلة المصادر الأولية المستخدمة في البحث العلمي، نتائج البحوث العلمية والتجارب، وبراءات الاختراع، والمخطوطات والتقارير السنوية، والإحصاءات الصادرة عن المؤسسات الرسمية المعنية، والوثائق الجارية التاريخية، والمذكرات، وما شابه ذلك من مصادر.

أما الموسوعات ودوائر المعارف ومقالات الدوريات في معظمها والكتب الدراسية المؤلفة في الموضوعات المختلفة، وما شابهها من المصادر المنقولة معلوماتها عن المصادر الأخرى، الأولية منها وغير الأولية، فإنها تعتبر مصادر ثانوية.

ملاحظات أساسية في المنهج الوثائقي التاريخي:

وعلى أساس ما تقدم فإننا نستطيع أن نلخص ونحدد المعالم الأساسية والملاحظات المبنية على ما مر ذكره حول المنهج التاريخي والوثائقي بالنقاط التالية:

- تبرز أهمية هذا المنهج من خلال حقيقة معروفة وهي أن الأنشطة والاتجاهات المعاصرة سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية أو علمية، لا يمكن أن تفهم بشكل واضح دون التعرف على أصولها وجذورها وتسلسل حدوثها وتطورها، عبر المراحل التاريخية المختلفة، القديمة منها والحديثة.
- يطلق على هذا المنهج، الوثائقي (Documentary) لأن الباحث يتعامل مع مغزى وأهمية المعلومات الوثائقية، وبعبارة أوضح إن مجال الباحث هو المصادر والوثائق المختلفة، كالكتب والدوريات والتقارير والمخطوطات والوثائق الرسمية والتاريخية والخرائط والأفلام وغير ذلك من الوثائق.
- يطلق على هذا المنهج، التاريخي (H istorical) لأن الباحث يتعامل مع مغزى وأهمية المعلومات التي تعكس أنشطة الإنسان وإنجازاته عبر المراحل الزمنية والتاريخية المختلفة، والعلاقة بينه وبين الأحداث والمناسبات الموثقة والمسجلة.
- لا يزال المنهج التاريخي الوثائقي من أوسع المناهج العلمية استخداما والأكثر انتشارا، بالرغم من ظهور مناهج أخرى مستحدثة عديدة.
- لا يقل هذا المنهج أهمية ووزنا عن مناهج البحث الأخرى، بل قد يفوقها إذا توفر له شرطان أساسيان هما:

أ. توفر المصادر الأولية والأصلية.

ب. توفر المهارة الكافية عند الباحث، من حيث النقد والتحليل.

- المنهج التاريخي، مثله مثل المناهج الميدانية والعلمية الأخرى، يحتاج إلى فرضيات تؤطر البحث وتحدد مسار جمع وتحليل المعلومات فيه.
- يستخدم هذا المنهج لجميع المواضيع الإنسانية والاجتماعية.

2. المنهج الوصفي:

المنهج الوصفي هو طريقة يعتمد عليها الباحثون في الحصول على معلومات وافية ودقيقة، حول تصور الواقع الاجتماعي، والذي يؤثر في كافة الأنشطة الثقافية والسياسية والعلمية، وتسهم في تحليل ظواهره. وترتبط بالمنهج والدراسة الوصفية عدد من المناهج والدراسات الأخرى المتفرعة عنه في البحث العلمي، أهمها المنهج المسحي ومنهج دراسة الحالة.

أ. المنهج المسحي:

يمكننا أن نعرف المسح أو المنهج المسحي بأنه تجميع منظم للبيانات المتعلقة بمؤسسات إدارية أو علمية أو ثقافية أو اجتماعية، كالمكتبات والمدارس والمستشفيات مثلا، وأنشطتها المختلفة، وكذلك عملياتها وإجراءاتها وموظفوها وخدماتها المختلفة، وذلك خلال فترة زمنية معينة ومحددة.

ويستطيع الباحث عن طريق المنهج المسحي أو الدراسة المسحية تجميع معلومات أو مواصفات مفصلة عن وحدة إدارية أو اجتماعية أو علمية، أو عن منطقة جغرافية محددة، ودراسة الظواهر الموجودة فيها، بغية استخدام البيانات المجمعة عنها لتوضيح وتبرير الأوضاع والممارسات الموجودة، أو بغية الوصول إلى خطط أفضل لتحسين الأوضاع الاجتماعية أو الاقتصادية أو التربوية، للشكل أو الهيكل الممسوح، كذلك يكون هدف الباحث من دراسته المسحية هو تحديد كفاءة وقدرة الشكل والوضع القائم للهيكل المسموح، عن طريق مقارنته بمستويات ومعايير تم اختيارها وإعدادها.

ملاحظات أساسية في المنهج المسحي:

إن الأساليب الأساسية التي يستحسن استخدامها في جمع البيانات والمعلومات في الدراسة المسحية فهي الاستبيان والمقابلة.

يتحدد حجم الدراسة المسحية بحجم المشكلة وعمقها، إما أن تدرس كافة المؤسسات والوحدات أو يتم اختيار نماذج عينة منها ممثلة للمجتمع الأصلي، وقد تجمع البيانات والمعلومات من كل فرد من أفراد المجتمع المطلوب دراسته. إذا كان المجتمع محددا وقابلا للدراسة وقد تجمع البيانات والمعلومات من نماذج وعينات يحددها الباحث مسبقا.

هناك عدد من الدراسات والمجالات التي تحتاج المنهج المسحي وهي:

- المسح التعليمي: المدارس، الطلبة...الخ.
- المسح الاجتماعي: القضايا الاجتماعية، الزواج، الطلاق...الخ.
- مسح الرأي العام: الانتخابات، رأي المجتمع في مسألة معينة.
- المسح الاقتصادي (مسح السوق): ردود الفعل عن بعض المنتجات والصناعات...الخ.
- المسح الثقافي: القراءة، المكتبة...الخ.
- يساعد المنهج المسحي في دراسة العلاقات السببية بين الظواهر والأنشطة المختلفة مثل علاقة المستوى الثقافي باستخدام المكتبة.

ب. دراسة الحالة:

يقوم منهج دراسة الحالة على أساس اختيار وحدة إدارية واجتماعية واحدة كأن تكون مدرسة أو مكتبة واحدة أو قسما واحدا من أقسامها، أو فردا أو جماعة واحدة من الأشخاص –عائلة واحدة، صف طلابي واحد، مجموعة واحدة من الموظفين في قسم أو إدارة من الإدارات...الخ وجمع المعلومات التفصيلية عن كل جوانب أنشطتها وصفاتها فقد تدرس حالة شخص واحد مدمن على المخدرات لغرض معرفة كل تفاصيل حياته وتاريخه، أو تدرس حالة عائلة واحدة بشكل منفصل ومعرفة كل ما يتعلق بنشاطها وحركتها. أو أن تدرس مدرسة واحدة،

أو صف واحد من صفوفها بشكل تفصيلي، وقد تدرس مكتبة واحدة أو قسم من أقسامها بنفس الطريقة المتعمقة والمفصلة، وهكذا.

هناك أربعة جوانب مهمة في دراسة الحالة هي:

- إن دراسة الحالة هي احدى الدراسات أو المناهج الوصفية.
- تستخدم لاختبار فرض أو فروض.
- من الضروري التأكيد على الحالة للحالات الأخرى المشابهة التي يفترض تعميم نتائجها عليها.
- التأكيد على الموضوعية، والابتعاد عن الذاتية، في اختيار الحالة وفي جمع البيانات والمعلومات اللازمة، ومن ثم تحليلها وتفسيرها.

مزيا دراسة الحالة:

يمكن أن نحدد مزايا والفوائد البحثية لمنهج دراسة الحالة في الآتي:

1. نظرا لأن هذا المنهج يستخدم في دراسة حالة ما، سواء كان فردا أو مجموعة واحدة أو مؤسسة، أو أية وحدة إدارية أو اجتماعية أو اقتصادية، من خلال الرجوع إلى خلفية وتاريخ الحالة، وتطورها ووضعها الراهن، فبذلك يستطيع الباحث تقديم دراسة شاملة ومتكاملة ومتعمقة للحالة المطلوب بحثها ودراستها، حيث يركز الباحث على موضوع دراسته والحالة التي يبحثها، ولا يبعثر ويشتت جهوده على دراسة حالات متعددة.
2. تتوفر لها معلومات تفصيلية وشاملة، أكثر من المنهج المسحي.
3. قد لا تحتاج إلى جهد التنقل أو الانتظار الطويل، كما هو الحال في اختيار عدة حالات أو مؤسسات.

عيوب دراسة الحالة:

هناك بعض المساوئ والجوانب السلبية في هذه الطريقة، والتي نوجزها بالآتي:

1. إن الحالة التي يتم اختيارها كعينة للدراسة قد لا تمثل المجتمع كله أو الحالات الأخرى بكاملها. وعلى هذا الأساس فقد لا تكون التعميمات لتلك العينة والحالة صحيحة أو صادقة.
2. قد لا تعتبر هذه الطريقة عملية بشكل كامل، إذا ما أدخلنا عنصر الذاتية والحكم الشخصي فيها، أو كان بالأساس موجودا في اختيار الحالة، أو في تجميع البيانات اللازمة لهذه الدراسة وتحليلها وتفسيرها، إذ قد يشك في صحة البيانات المجمعة، حيث أنه قد تعطي العينة المبحوثة وخاصة إذا ما كانت شخصا أو أشخاصا، صورة غير واضحة تميل إلى إرضاء الباحث، إن تذكر بعض من المعلومات والحقائق من وجهة نظر الشخص المطلوب دراسته والتهويل لبعض الجوانب، أو التقليل من أهمية بعض الأحداث، تبعا

لنظرته أو سلوكياته، حيث يلجأ إلى التركيز على الجوانب التي تهمه وتتطابق مع نظرته، غافلا أو متغافلا الجوانب الأخرى التي تتناقض مع آرائه ومناظره.

أدوات جمع المعلومات في دراسة الحالة:

يمكن حصر أدوات جمع المعلومات في دراسة الحالة فيمكن حصرها بالآتي:

– الملاحظة المتعمقة، حيث يحتاج الباحث إلى تواجده وبقاءه مع الحالة المعنية بالبحث، لأوقات كافية، وحسب ما تقتضيه ضرورة البحث، ومن ثم تسجيل ملاحظاته بشكل منظم أولا بأول.

– المقابلة: أي أن الباحث قد يحتاج إلى الحصول على معلوماته بشكل مباشر، من الحالات المبحوثة والمدروسة، وذلك بمقابلة الشخص أو الأشخاص، الذين يمثلون وحدة الحالة، وجها لوجه، وتوجيه الاستفسارات لهم والحصول على الإجابات والمعلومات التفصيلية المطلوبة، وكذلك تسجيل الانطباعات الضرورية التي قد يتطلبها البحث.

– الوثائق والسجلات المكتوبة: سواء كانت سجلات رسمية أو وثائق شخصية واحصائية، تفيد الباحث وتعينه في تسليط الأضواء على الحالة المبحوثة، وقد تكمل مثل هذه الوثائق المعلومات التي يحصل عليها الباحث من مقابلاته.

3. المنهج التجريبي:

هناك عدد من التعاريف الخاصة بالمنهج أو البحث التجريبي، منها أن البحث التجريبي هو تغيير متعمد ومضبوط، للشروط المحددة، لواقعة معينة، وملاحظة التغيرات الناتجة في هذه الواقعة ذاتها، وتفسيرها.

وفي تعريف آخر يذكر أن المنهج التجريبي متعمد ومضبوط للشروط المحددة للواقع أو للظاهرة، التي تكون موضوعا للدراسة، وملاحظة ما ينتج عن هذا التغيير من آثار في هذا الواقع والظاهرة.

وفي تعريف ثالث للمنهج التجريبي على أنه عبارة عن الطريقة التي يقوم بها الباحث بتحديد مختلف الظروف والمتغيرات التي تظهر في التحري عن المعلومات، التي تخص ظاهرة ما، وكذلك السيطرة على مثل تلك الظروف والمتغيرات والتحكم بها.

ويقوم الباحث عادة بتطويع واحد أو أكثر من المتغيرات المستقلة الموجودة في مشكلة البحث وفرضياتها، بغرض معرفة تأثيرها على المتغيرات التابعة، ومن ثم قياس مثل تلك التأثيرات.

ولا يقتصر الباحث في المنهج التجريبي على وصف الأنشطة والظواهر التي يتناولها البحث، كما هو الحال في البحوث الصفية، سواء كانت بطريقة المسح أو دراسة الحالة أو ما شابه ذلك من البحوث الوصفية، كذلك فإنه لا يقتصر الباحث لا استقراء التطور التاريخي والأنشطة والشواهد المتعلقة بحالة معينة أو واقعة محددة في الماضي، كما هو الحال في المنهج التاريخي. ففي المنهج التجريبي يقوم الباحث بدراسة متغيرات

الظاهرة التي هي أمامه، في المختبر أو في مكان الدراسة الآخر. كذلك فإنه قد يحدث في بعض تلك المتغيرات تحولا أو تعديلا، مقتصدا أو متعمدا معه الباحث ليخدم أهداف بحثه ودراسته. فهو يتحكم مثلا في متغير معين ويحدث تغييرا في متغير آخر، بغرض أن يتوصل إلى العلاقات السببية بين هذين المتغيرين، وقد يضيف متغيرا ثالثا إذا تطلب الأمر ذلك.

وفي المنهج التجريبي يجري التأكيد على جوانب ثلاث هي:

1. استخدام التجربة، أي أحداث تغيير محدد في الواقع. وهذا التغيير نسميه استخدام المستقل أو التجريبي.
2. ملاحظة نتائج وآثار ذلك التغيير، وما نطلق عليه النتائج وردود الفعل بالنسبة للمتغير التابع.
3. ضبط إجراءات التجربة للتأكد من عدم وجود عوامل أخرى، غير المتغير المستقل، قد أثرت على ذلك الواقع، لأن عدم ضبط الإجراءات سيقلل من قدرة الباحث على حصر ومعرفة تأثير المتغير المستقل.

استنتاج:

يذهب عدد من الكتب والمهتمين في مجال البحث العلمي، ومناهجه وطرقه إلى تسمية مناهج إضافية أخرى، كالمنهج المقارن، ومنهج تحليل المضمون أو تحليل المحتوى، وغير ذلك من المناهج، إلا أننا نعتقد بان مناهج البحث العلمي، الإضافية هذه أو غيرها، لا تتعدى كونها واحدة من المناهج التي ذكرناها فيما سبق ذكره أعلاه.

فتحليل المضمون، أو ما يسميه البعض تحليل المحتوى هو لا يتعدى كونه منهج وثائقي، يعتمد على دراسة وتحليل مصادر المعلومات المختلفة المطبوعة منها وغير المطبوعة، وخاصة مقالات الصحف والتسجيلات الصوتية وتسجيلات الفيديو، والتلفاز وما شابه ذلك من المصادر والأوعية الإعلامية والوثائقية الناقلة للمعلومات، حيث يقوم الباحث بدراسة وتحليل المعلومات الواردة فيها، بشكل كمي أو نوعي.

أما المنهج المقارن فلا يعني أكثر من كونه مجرد منهج مسحي، حيث يقوم الباحث بمقارنة الأداء في عدد من المؤسسات والوحدات الإدارية (مدارس، مكتبات، مستشفيات، جامعات...الخ) أو الاجتماعية (عائلات، تجمعات سكانية، أفرادا...الخ)، وذلك بتبرير الأوضاع السائدة، أو تحديد السلبيات والوصول إلى أداء أفضل.